اللبناني . وقد وقع هذا الهجوم في الوقت الذي كان لبنان يشهد فيه تدهورا سريعا في الوضع الامني . وأشارت الاحداث في حينه الى الدور الذي لعبته القوى المرتبطة بالنظام السوري للتمهيد للتدخل من خلال خلق وضع يوحي بخطر حدوث « الفوضى » الشاملة ، وخصوصافي المناطق التي تسيطر عليها الحركة الوطنية .

حضرت ، بعد ذلك ، قوة من الجيش الى عكار ، وتوزعت في العديد من المناطق بحجة حماية المسيحيين ، أخذت هذه القوة بملاحقة الوطنيين واعتقالهم والتضييق عليهم ، في الوقت الذي كان فيه المجرمون و « المطلوبون » من السلطة ، يسرحون ويمرحون ، تحت اعين الجيش هناك . ـ كان « أكرم ديب » الذي اغتال المحامي التقدمي « خالد صاغية » يحتمي عند حاجز للجيش في « الكويخات » .

في الوقت الذي كان فيه الجيش في عكار يلاحق الوطنيين اللبنانيين والفلسطينيين ، كانت تجري عمليات فرض الخوة والتهديد على المسيحيين من قبل أزلام « سليمان العلي » وعشائر الجرد . هذه العمليات دفعت بالمسيحيين الى طلب الحماية من الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية ،وحضرت بعض فصائل المقاومة واقامت مراكز لها في بعض القرى المسيحية مثل : « بقرزلا »و «التليل» و « دير جنين » .

غير ان الوضع ازداد سوءا بعد ذلك ، اذ سادت المنطقة بشكل سافر موجة طائفية ذهبت ضحيتها عشرات القتلى ،الابرياء واحرقت قرى مسيحية في غالبيتها من الفلاحين الكادحين . ففي ١٨ كانون الثاني تم احراق عدد كبير من منازل « دير جنين » وترحيل أهلها . علما ان هذه البلدة كانت قد أجرت عدة اتفاقات مع جيرانها المسلمين ،واتصلت بالمقاومة الفلسطينية . ولكن كل ذلك لم ينفعها . وعمد الذين هاجموا البلدة الى قتل كاهن وراهب آخر في ساحة القرية . وبعد مدة تم نهب وترحيل أهالي قرية « منجز » وقرية « كفرنون » . ولم تكون مسلكية المهاجمين بأقل سوءا من سابقيهم. وغني عن البيان ان هاتين القريتين لا عنوان لهما سوى الفقر والحرمان . هذا عدا الكثير من عمليات التهجير والتشريد وفرض الخوة التي مورست بحق العديد من قرى عكار المسيحية .

دور « القبيات ـ عندقت »

في ٥ و ٦ اذار انفجر الوضع مجددا في عكار واذنر بتطورات جديدة على صعيد المؤامرة على جماهير عكار وعلى قواه الوطنية والتقدمية والمقاومة الفلسطينية . ولشرح ملابسات الاحداث لا بد لنا من استعراض طبيعة القوى الطبقية والسياسية المتواجدة في هذه البلدة ومواقف هذه القوى .

ان بلدة القبيات ـ عندقت هي من أكبر التجمعات المسيحية ـ المارونية في عكار ويبلغ تعدادها حوالي ٣٠ الف نسمة . ينتمون بغالبيتهم الى الشرائح الدنيا من البرجوازية الصغيرة من الجنود بشكل اساسي ، والمدرسين الابتدائيين ، والمزارعين ، والمتقاعدين من الخدمة في الجيش .

ان انتماء غالبيه ابناء القبيات ـ عندقت الى هذه الشرائح من البرجوازية الصغيرة ذات الدخل المحدود ، لم يخلق عندها النقمة على النظام والحاجة الى تغييره ، لعدم انعكاس أزمات النظام بشكل حاد عليهم لوجودهم في منطقة ريفيه ، تخفف عنهم مشاكل الايجار والنقل وتكاليف التعليم وغيرها بالاضافة الى وجودبقايا من طرق الاستهلاك الطبيعي « كالمونة » مثلا . ان وجود عدد كبير من الموظفين في هذه البلدة ولد لديهم الشعور بالاستفادة من النظام وبضرورة الحفاظ عليه، وعزز شعورهم هذا تراث ثقافي طائفي متعمق في نفوسهم بجذوره التاريخية العامة والمحلية ، وكذلك اعلام السلطة والفاشيين .

نستنتج من ذلك ان القبيات ـ عندقت هي موضوعيا في مواقع اليمين ومن خلال الاحداث ، ومنذ بداياتها كانت اقرب الى مواقع الفاشية التي نمت فيها لعوامل عديدة منها ما يتعلق بطبيعة البلدة ومنها ما يرجع الى واقع القرى المحيطة بها . واذا تساءلنا لماذا لم تأخذ هذه البلدة منذ البدء موقعها الفاشي ، ولماذا لم تفصح عنه ، فان ذلك يعود بالدرجة الاولى الى موقعها العسكري الضعيف والساقط مبدئيا ، ولا يعودذلك لحجم الحركة الوطنية فيها ولا لدور التيار الليبرالي ، مع اننا لا نريد ان نقلل منه . واذا كان التيارالفاشي المنظم في « القبيات ـ عندقت » ضعيفا ، فذلك يعود الى التناقض بين مصالح الزعماء المحليين الانتخابية من جهة وبينهم وبين أطروحات « الكتائب » التي تنفر منها الجماهير المسلمة والتي تشكل في عكار وبالنسبة لزعماء القبيات الذين يزحفون خلف كرسي النيابة نسبة محدود للكتائب واخر للشمعونيين عززتهما تطورات الاحداث لوجود تربة صالحة لتقبل الفاشية ،اضافة لوجود بعض ازلام « سليمان فرنجيه » والشعبة الثانية وعناصر للمخابرات السورية . كما يوجد في البلدة تنظيم صغير لحزب العمل الاشتراكي العربي وللحزب الشيوعي اللبناني والحزب السوري القومي الاجتماعي ، الا ان اثر هذه التنظيمات الوطنية والتقدمية كان محدودا جدا لعدم تقبل الناس لهم للاسباب المذكورة في مجال تحديدموقع القبيات ـ عندقت سياسيا .

لماذا انحازت القبيات للفاشيين ؟

لم تستطع « القبيات ـ عندقت » ، في بداية الاحداث ، ان تترجم ميلها الموضوعي لممارسة الفاشية ، وبقيت في حالة عداء كامل ، للحركة الوطنية والمقاومة ، الى ان اتيحت لها الفرصة ، فكشرت عن وجهها السافر . حاولت العناصر الكتائبية ان تقطع في بداية الاحداث طريق بعلبك ـ طرابلس ، فتصدت لها الحركة الوطنية داخل القبيات وخارجها واستطاعت تحت التهويل بالضغط ، وبمساعدة التيار الليبرالي وضمن الظروف العامه ان تزيل حواجز الفاشيين وفرض عليهم موقفا « ساكنا » . واستمرت طريق بعلبك ـ طرابلس التي تمر في منتصف القبيات سالكة فترة طويله . الا ان هناك جملة من الامور اعادت للكتائب حيويتهم في بؤرتهم المؤهلة لتقبل فاشيتهم ، منها : الاهتمام الذي لقيه كتائب القبيات ـ عندقت من قبل قيادتهم في بيروت والعمل على اعادة ترتيب اوضاعهم تسليحا وتدريبا وتنامي التيار الطائفي في عكار والدور السيء الذي قامت به القوى الطائفية بفرض الخوة والقتل على الهوية وسرق القرى واحراق المنازل ، مما عزز منطق الكتائب واعطاهم فرصة أكبر وحرية أوسع للتحريض طائفيا ولاستقطاب الناس والدعم الذي لقيته عناصر المخابرات السورية القبياتية وتوجيهها لضرب الحركة الوطنية داخل القبيات ، وتنسيقها مع الكتائبيين .

هذا الضعف الذي ازداد مع تطورات الاوضاع في عكار ومع اتخاذها وجها طائفيا وعشائريا ، لم تستطع الحركة الوطنية ولا المقاومة الفلسطينية ان تحد منه ، بشكل فعال وملموس . ان تطورات الاوضاع في عكار ، جعلت من القبيات ـ عندقت هدفا للطائفيين ، فكان على أهالي البلدة ان يحددوا موقفهم في سبيل الدفاع عن بلدتهم من موقع وطني أم من موقع فاشي طائفي. ونتيجة لما سبق ان ذكرناه عن طبيعة التركيب الطبقي والسياسي للبلدة ، كان الموقف الدفاعي يصب باتجاه تغليب الموقف السياسي المناصر للكتائب وأهل النظام الرجعيين . والانتقال من موقف الدفاع الى موقف يثبت البلدة قلعة فاشية للكتائب وازلام فرنجية والمخابرات السورية .

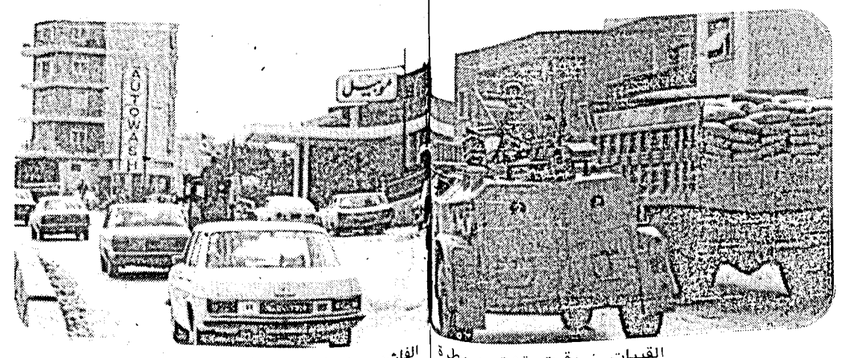

القبيات : بقيت تحت سيطرة الفاشيين والمخابرات

ان جمله الاحداث التي عاشتها عكار ولا تزال تعيشها تؤكد ان هناك مخططا رجعيا تحاول المخابرات السورية والقوى الكتائبية ان تنفذه بالتعاون فيما بينها ، لتحقيق الاهداف التالية :

- تصفية التيار المسيحي التقدمي سياسيا وجسديا ، وذلك بعزل الجماهير المسيحية عن حركتها الوطنية ، ودفعها باتون الاستقطاب الطائفي . ان احراق بعض القرى وبايعاز من المخابرات السورية ـ « التليل » ، « منجز » ، « كفرنون » ـ يدفع مسيحيي القرى المجاورة الى الوقوع في فخ التعصب الطائفي ومصائد الفاشيين ، خشية الوصول الى نفس المصير الذي لاقته تلك القرى . في وقت اثبتت فيه الحركة الوطنية في عكار والمقاومة الفلسطينية اهمالها لهذه المسألة ثم عجزها عن حلها حتى الان على الاقل . خاصة وأن هناك قرى كانت قد اتصلت بالمقاومة الفلسطينية وحضرت بعض فصائلها الى هذه القرى ومع ذلك لاقت مصيرا مرعبا ، كبلدة « دير جنين » مثلا التي حصرت « الصاعقة » لحمايتها .

- اعادة الدور للقوى الاقطاعية في الهيمنة على العشائر المسلمة ، بعد ان شعرت هذه القوى بخطر فقدان سيطرتها على هذه الجماهير ،فعمدت الى تحريضها طائفيا ، لتسيء الى الحركة الوطنية ، ولتفصلها الجماهير عن الحركة الوطنية في حال اقدمت هذه الاخيرة على ردعها بالقوة .

- تصوير « الكتائب » بنظر المسيحيين كحماة حقيقيين لهم ، من خلال محاولاتها لقيادة القتال « دفاعا » عن المسيحيين ، مما يعزز مواقعهم ، في الوقت الذي لم تلعب فيه الحركة الوطنية دورا فعالا في هذا المجال ، اذا استثنينا دور ، حزب العمل الاشتراكي العربي وجبهة الرفض ،المحدود جدا .

- الاستفادة من جنود عكار المسيحيين،وحقنهم بالحقد الطائفي ، لاستخدامهم في محاولات ضرب الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية ، خاصة بعد ظهور حركات الضباط الوطنيين وتشكيل جيش لبنان العربي . ويكفي ان نذكر ان الفاشيين لم يسمحوا الا بارسال مجموعة من ٨٠ جندي من أبناء القبيات ـ عندقت من الجنود الى بلدتهم وهم يقدرون بأكثر من ألف جندي .

دور المخابرات السورية

واذا كنا قد لمحنا في سياق كلامنا الى الاصابع الخفية والمعلنة التي تقف وراء أحداث عكار الطائفية ، فاننا نؤكد ان الجرائم البشعة التي نفذتها بعض القوى الطائفية قد رسمتها وخططت لها المخابرات السورية بموافقة قيادة « الكتائب » و « الشمعونيين » . ونحن اذ نقول ذلك فاننا لا ننطلق من الفراغ ولا نتجنى على أحد . ولكننا نستند الى الحقائق والمؤشرات التالية :

- وجود عناصر من قوات « الصاعقة »السورية في بعض القرى التي نهبت وهجر سكانها مثل « التليل » .

- تصفية عشرة جنود من ابناء القبيات ، اثناء ذهابهم الى بلدتهم بعد ان حصلوا على اجازات من ثكنة مظار القليعات وبعد ان كانوا برفقة مجموعة من احدى القوى الخاضعة لنفوذ النظام السوري هناك .

- التعرض للقوى الوطنية المسيحية وضربها وهي برفقة ضباط سوريين .

- حادث التشليح الذي تعرض له الجعافرة ، والذي قام به « أحمد العس ».وهو من عناصر الشعبة الثانية اللبنانية الموالية لسليمان فرنجية وهو الذي أوشى بمجموعة يسارية داخل الجيش ورقي الى رتبة عريف بناء على عمله .

- عدم تحرك سوريا لفك الحصار التمويني عن « القبيات ـ عندقت » ، وهي التي فكت الحصار عن « دير الاحمر » و« زحلة » و « الاشرفية » هذه المواقع التي تعمل يوميا على دك مواقع الحركة الوطنية بمئات القذائف وكان غرض سوريا في حينه من ذلك ان تبقي الوضع متوترا في عكار لتتيح لنفسها فرصة أكبر للدخول الى الشمال بحجة المحافظة على الامن .

- ان حادث « القبيات ـ عندقت » تم عشية اليوم المحدد لتنفيذ ما سمي حينذاك بالخطة الامنية الجديدة ، فتكون « الكتائب » والمخابرات السورية ـ كعادتها في التعامل مع فترات وقف اطلاق النار ـ قد فجرت الموقف في عكار لنسف الخطة الامنية الجديدة ولاعادة البلاد من جديد الى ميدان القتال . من هنا نفهم كيفية جمع مخابرات « بركات » و « أحمد العس » ومخابرات سوريا المتمثلة بالعناصر القبياتية التي شاركت بحاجز التشليح

تقصير الحركة الوطنية والمقاومة

اذا كنا نلقي مسؤولية ما حدث في عكار من اعمال طائفية على عاتق القوى الفاشية والرجعية العربية في سوريا ، فاننا لا نستطيع ان نغفل عن التقصير الذي وقعت فيه الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية ، ذلك التقصير الذي يتجلى في غياب دورها تقريبا عن ساحة احداث عكار ، لا سيما وان هذه المنطقة تعتبر تحت سيطرة الحركة الوطنية ومنطقة من مناطقها . اننا لا نقول ذلك من باب التجريح بالحركة الوطنية والمقاومة ولكننا اذ نقوله نتوخى النقد البناء الذي يغار على مصلحة الحركة الوطنية والمقاومة معا .

ان المراقب لشريط تطورات الاوضاع في عكار ، يعرف كيف استطاعت الاجهزة الفاشية والمخابرات السورية ان تدفع تدريجيا بعملائها في المنطقة حتى بات دورهم يغطي الان اكثر المناطق العكارية، كان على الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية ان تحد فورا من ممارسات العشائر الطائفية فور بدايتها ، فتقتص من هؤلاء . وعلى سبيل المثال، بعد حادثة الهجوم على « تل عباس » كان على الحركة الوطنية والمقاومة ان تتولى بنفسها مسألة ردع الطائفيين العشائريين ومسألة معاقبتهم وحماية أهالي البلدة . كان عليها الا تفسح الفرصة أمام الجيش ليحضر الى البلدة وليشن بعض الهجمات على قرية مجاورة لـ « تل عباس » يسكن فيها جماعة من فنيدق . ان هذه المسألة هي مهمتها هي وليست مهمة جيش « سليمان فرنجية » و « سليمان العلي » .

المطلوب من الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية ان تتحرك وان تختار الزمان المناسب لتضرب الفاشيين ، ان تقف موقفا متفرجا من الاحداث التي انعكست سلبا عليها نتيجة موقفها هذا .

واننا لنوجه نداء في هذا المجال الى كافة المسيحيين الشرفاء والجنود منهم بشكل خاص ان يدركوا حقيقة احداث عكار ، ويعملوا على عزل الفاشيين عنهم ، كما نوجه نداءنا الى الحركة الوطنية والمقاومة لتعمل على انهاء الوضع الخاطىء في عكار والحد من الموجة الطائفية هناك .

جوزف عبد الله